بحث مستل من:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

للبنين بأسوان

علمية - مُحكمة - نصف سنوية

◆ العدد الرابع

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

التذييل عند ابن عاشور في تفسيره
دراسة موضوعية تحليلية
سورة البقرة نموذجا

إعداد

د. مصعب بن عبد اللطيف عبد الكريم الخليف

التذييل عند ابن عاشور في تفسيره دراسة موضوعية تحليلية (سورة البقرة نموذجاً)

مصعب بن عبداللطيف عبدالكريم الخليف.

قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، بريدة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: musab0997@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق أجمعين، أما بعد: فإني لمست اهتمامًا عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره بتذييل الآيات، وجهدًا للوصول لمضامينها وأسبابها وأنوعها ودلالاتها فهممت بدراسته. **موضوع البحث**: (التذييل عند ابن عاشور في تفسيره). **أهداف البحث**: في بيان ما لخواتيم الآيات من هدايات ومعاني مرتبطةً بسياق ومناسبة الآية، والربط بين بدايات الآيات وخواتيمها من جهة المعنى، وبيان إعجاز القرآن في تذييل آياته. **وكان منهج البحث**: المنهج الاستقرائي في تفسير ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - (التحرير والتنوير) وتتبع تفسيره لخواتيم الآيات في سورة البقرة، والجمع بين أقواله. **وأهم نتائج البحث**: أن التذييل ودلالاته بابٌ من أبواب التدبر والتأمل والاستنباط، وتبين اهتمام ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بالتذييل خاصة والجوانب البلاغية واللغوية عامة، وأنه من المفسرين المهتمين بالربط بين سياقات الآيات ومناسباتها. **وتنتهي توصيات البحث**: بدراسة موضوع التذييل في القرآن كاملاً في تفسير ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - برسالة علمية، من حيث المنهج والدلالات والأسباب والأنواع التي بيّنها وآكد عليها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الكلمات المفتاحية: التذييل، ابن عاشور، تفسيره، دلالات، أسباب، أنواع.

Appendix according to Ibn Ashur in his interpretation of an objective and analytical study (Surat Al-Baqarah as a model).

Musab bin Abdul Latif Abdul-Karim Al-Khalif.

Department of the Qur'an and its Sciences, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Buraidah, Saudi Arabia.

Email: musab0997@gmail.com

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the worlds, blessings and peace be upon the most honorable of all Prophet Muhammad, as for the following: I sensed an interest in Ibn Ashur - may God have mercy on him - in his tafsir of the appendix of the verses, and an effort to reach their contents, causes, types and implications, and I want to study his manner. Subject of research: (Appendix to Ibn Ashour in his tafsir). The objectives of the research: To clarify what the verses have endings in terms of guidance, meanings related to the context, relevance of the verse, to link the beginning, end of the verses in terms of meaning, and to explain the miracles of the Qur'an in the appendix of its verses. The research method was: the inductive approach in the interpretation of Ibn Ashur - may God have mercy on him - (At-Tahrir and Tanwir), and he followed his interpretation of the end of the verses in chapter of Al-Baqarah, and a combination of his sayings.The most important results of the research: that the appendix and its connotations are one of the chapters of contemplation, contemplation and deduction, and it shows the interest of Ibn Ashour - may God have mercy on him - in the appendix in particular and the rhetorical and linguistic aspects in general, and that he is one of the commentators interested in linking the contexts of the verses and their occasions.The recommendations of the research conclude: by studying the whole subject of the appendix in the Qur'an in the interpretation of Ibn Ashour - may God have mercy on him - with a scientific message, in terms of the method, indications, causes and types that he explained and emphasized, and may God bless our Prophet Muhammad.

Keywords: Appendix, Ibn Ashour, Its Interpretation, Signs, Reasons, Types.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن، وجعله هاديًا للبشرية، ومصدرًا لكل مريدٍ للخير والسعادة والروحانية، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أمرنا في غير ما موضع من كتابه بالتفكر والتدبر، والنظر والتأمل في آياته، وما حوى من المعاني والعبارات، والجمل الباهرة المعجزة، وأرشدنا إلى النظر فيه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، ومما لاشك فيه أن كلَّ آية وكلمة من كتاب الله الكريم تحمل الهدايات، والأسرار والعبر التي ظهرتْ من قبل، ولا زالت حكمه وهداياته تظهر لما يتميز به القرآن من احتمال ألفاظه لمعاني عديدة، فهي معانٍ متجددة وصالحة لكل زمان ومكان، ومعجزة باقية إلى قيام الساعة؛ وهذه الخصيصة لم تكن إلا لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون سائر الأنبياء السابقين الذين كانت تَنْزِلُ عليهم الآيات والمعجزات في وقتها وتنتهي، أما القرآن الكريم، فلا زال معجزًا.

وهذه الآيات تحمل معنىً وتأتي جملة أخرى تأكيدًا لهذا المعنى أو

تقريرًا له، أو خاتمة للآية مذيلة لها.

موضوع البحث:

ومن هذا بدأت الفكرة لبحث موضوع "التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره).

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث لبيان المسائل التالية:

١- المراد بالتذييل، وعلاقته بالقرآن الكريم.

٢- أسباب تذييل الله تعالى للآيات القرآنية بما ذُيلت به.

٣- طريقة وأنواع التذييل التي نوّعها المفسر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره.

٤- دلالات التذييل التي قال بها ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تذييل الآيات.

حدود البحث:

يتناول البحث التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره (التحرير والتنوير) من خلال سورة البقرة، من خلال استقراء ما أطلق عليه بالتذييل بكل صيغة، واستخراج أسباب وأنواع ودلالات التذييل من ذلك.

أهداف الموضوع:

١- إبراز جانب من الإعجاز البلاغي في كلام الله تعالى.

٢- بيان ما لخواتيم الآيات من هدايات ومعاني جليلة.

٣- إظهار وجه المناسبة بين جُمل القرآن الكريم وآياته.

٤- إبراز جهد المفسر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في عرضه للتذييل القرآني.

منهج البحث:

سيكون منهجي في هذا البحث قائمًا على المنهج الموضوعي، في النقاط التالية:

١- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢- الرجوع إلى تفسير التحرير والتنوير في التذييل، وكتب التفسير لما يلزم.

٣- تخرج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية معتمدًا في ذلك على صحيح البخاري ومسلم، وما جاء في البحث من غيرهما يتم تخريجه من مظانه.

٤- سأبين الكلمات الغريبة الواردة في البحث، من كتب أهل اللغة.

٥- مراعاة ذكر الآيات ترتيب النزول قدر الإمكان؛ وذلك لما له تأثير في المعنى.

٦- عندما أعزو إلى أكثر من مرجع، فإني أراعي المتقدم أولاً.

٧- عندما أعزو (بالنص) أذكر اسم المرجع بالحاشية، وعند التصرف أذكر (انظر) إلى المرجع المذكور.

خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بأهم المراجع والمصادر.

المقدمة:

وتشتمل على موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث.

التمهيد: علاقة التذييل بالقرآن الكريم، وطريقة المفسر فيه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذييل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: علاقة علم التذييل بالقرآن الكريم.

المطلب الثالث: طريقة ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في عرض التذييل.

ويتكون أجزاء البحث من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

المبحث الثاني: أنواع التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

المبحث الثالث: دلالات التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات

فهرس الموضوعات

الدراسات السابقة:

بعد البحث في فهرس الرسائل الجامعية، ودار المنظومة وقاعدة الكشاف، وقاعدة بيانات معهد الشاطبي، ومكتبة الملك فهد الوطنية، والمكتبات العامة، فإني لم أطلع - حسب ما وقفت عليه - على من تطرق إلى هذا الموضوع عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وإنما وجدت الدراسات التالية:

١- "التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية" لسالم أحمد سند، عام ٢٠٠٢م، وكانت رسالة ماجستير من جامعة الموصل.

٢- "التذييل وتماسك النص: دراسة نحوية دلالية في القرآن"، لمريم عبد الجواد ، وهي رسالة ماجستير، جامعة الفيوم عام ٢٠١٦م.

٣- "التذييل وموقعه في القرآن الكريم" في بلاغة القرآن، لعلي محمد العطار، وكانت رسالة ماجستير، جامعة الأزهر عام ١٩٨٥م.

٤- "الفواصل والتذييل بالأسماء والصفات في القرآن"، لفهمي شومان، لم يسجل نوع الأطروحة، وهي من جامعة القرآن بالسودان، عام ١٩٩٥م.

٥- "التذييل في آيات الأحكام" فقه القرآن، لأيمن حسين، وهي رسالة ماجستير من جامعة الأزهر، عام ١٩٩٠م.

٦- "بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران"، لنجلاء عبد اللطيف، وهي رسالة ماجستير، عام ١٤١٤هـ.

٧- "التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية"، سورة البقرة أنموذجًا،

لفاطمة الزهراء، وهي رسالة ماجستير، بكلية الآداب واللغات، جامعة أكلي مهند أولحاج، ٢٠١٣م.

٨- "الإعجاز البياني في التذييل القرآني للآيات"، وهذا بحث نشر في مجلة القراءة والمعرفة، مجلد (١٣٨) في مصر، د. محمود علي عثمان، عام ٢٠١٣م.

٩- "التذييل في آيات الإحكام"، لإبراهيم سلامة، وهي رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، طنطا ١٩٩٩م.

١٠- "التذييل وموقعه في القرآن الكريم"، ليوسف البيومي، وهي رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨٥م.

تمهيـــــد

علاقة التذييل بالقرآن الكريم، وطريقة المفسر فيه

المطلب الأول

التذييل في اللغة والاصطلاح

يدور معنى الذيل في اللغة حول نهاية الشيء وآخره، وهذا ما بيّنه أهل اللغة في معاجمهم، ومن ذلك ما قاله ابن فارس - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في مقاييس اللغة حول مادة (ذَيَلَ) الآتي:

الذال والياء واللام أصيل واحد مطرد منقاس، وهو شيء يسفل في إطافة، من ذلك الذيل: ذيل القميص وغيره، وذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض، وفرس ذيّال: طويل الذنب"[(١)].

ومن هذا يظهر أن الأصل في هذا اللفظ ما ذكرت، وما عداه يُعدُّ من الاستعمالات والإطلاقات على هذا اللفظ، كما بينه أهل اللغة مثل صاحب تاج العروس حين قال: "الذيل: آخر كل شيء، كما في المحكم، قال شيخنا: هذا هو الحقيقي، وما بعده مجاز"[(٢)].

وهذه الاستعمالات كثيرة نقتصر على أهمها، من ذلك:

الإذالةُ بمعنى الإهانة للشيء، مثل قولك: لا تذل الناقة، وكذلك ذيلُ

---

(١) الصحاح مادة/ذيل(٤/١٧٠٢)، مقاييس اللغة مادة/ ذيل (٢/٣٦٦)، تاج العروس مادة/ذيل (٢٩/٢٠).

(٢) تاج العروس مادة/ذيل (٢٩/٢٠).

الإزار والثوب: ما جر منه وطال، ومن ذلك: ذيل الريح ما انسحب على وجه الأرض من التراب، وذال إليه انبسط، وأذلته أهنته ولم أحسن إليه، وأذالت المرأة القناع أرسلته، وفرسٌ ذائل ذو ذيل، وتذيل الرجل تبختر، وشواهد هذه الاستعمالات في مظانها من كتب اللغة والشعر[(١)].

وعند الرجوع للمعنى الاصطلاحي عند أهل علوم القرآن، نجد أول من أفرده بالذكر وبيّنه الباقلاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حين قال: "وباب آخر من البديع يسمى: "التذييل" وهو ضرب من التأكيد، وهو ضد ما قدمنا ذكره من الإشارة ... ومثله قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: ٤]"[(٢)].

وكذلك جعله قسمًا من أقسام علوم القرآن الزركشي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حين قال: "القسم الرابع والعشرون: التذييل.

مصدر (ذيل) للمبالغة، وهي لغة جعل الشيء ذيلا للآخر. واصطلاحًا أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل؛ ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا

(١) ينظر: الصحاح مادة/ذيل (١٧٠٢/٤)، مقاييس اللغة مادة/ذيل (٣٦٦/٢)، لسان العرب مادة/ذيل (٢٦٠/١١)، تاج العروس مادة/ ذيل (٢٩/٢٠ - ٣٠).

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ١٠٢).

ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧]، أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور فإن جعلنا الجزاء عامًا كان الثاني مفيدًا فائدة زائدة"[(١)].

ثم أخذ يذكر أمثلة على التذييل من القرآن ويبينها.

ثم عقبه السيوطي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فذكره ضمن الأقسام لعلوم القرآن، وعرّفه بتعريف مقارب للزركشي، حين قال: "النوع الخامس عشر: التذييل، وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول، لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه"[(٢)].

والخلاصة في المراد بالتذييل: أنه يستعمل عند المتقدمين والمتأخرين، والفارق أن المتقدمين يستعملونه لإرادة التأكيد، والمتأخرين يستعملونه لربط المعنى المنطوق أو المفهوم.

وبعد هذا التعريف الموجز للتذييل أجد أن بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي ترابط واندماج، فكلاهما يدل على ذات المعنى، وزاد عليه المعنى الاصطلاحي بأنه عائد على ما قبله لربط المعنى.

وأما عن موقع التذييل بين فنون البلاغة، فهو ضرب من ضروب الإطناب، بل ربما يكون سببًا من أسباب الإطناب، كما قال صاحب الطراز: "مصدر أطنب في كلامه إطنابًا إذا بالغ فيه، وطّول ذيوله لإفادة المعاني واشتقاقه من قوله: أطنب بالمكان، إذا أطال مقامه فيه، وفرس مُطنّبٌ إذا طال

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٦٨ - ٦٩).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٥٠).

متنه، ومن أجل ذلك سُمّي حبل الخيمة طُنبًا لطوله، وهو ضد الإيجاز في الكلام"[1].

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/٣٢٠) مطبعة المقتطف، مصر.

المطلب الثاني
علاقة علم التذييل بالقرآن الكريم

لا شك أن التذييل من العلوم المعينة على فهم كلام الله تعالى، وربطه ببعضه البعض لتأكيد المعنى، أو إخراج معنىً جديدًا عليه، والتذييل عده الزركشي والسيوطي - رحمهم الله - من جملة علوم القرآن كما بينت[(١)].

وللنظر لعلم التذييل يتبين أن بينه وبين علومِ قرآنية أخرى وجه ارتباط وتداخل كبير، وبالأخص بينه وبين علم الأمثال في القرآن، والفاصلة القرآنية، وعلم المناسبات بين السور والآيات.

فنجده يلتقي مع الأمثال في نوع من أنواعه ألا وهو الأمثال المرسلة، كذلك التذييل منه نوع ما يكون بمجرى المثل السائر بنفس معنى المثل المرسل، ومثاله قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠][(٢)].

وكذلك في علم الفاصلة أو كما يسمى برأس الآي، فإن التذييل يلتقي معه بنهاية الآيات؛ والجامع بينهما أن الفاصلة تعطي قوة وترابط لنهاية الآيات، وتكون تهيئة لما بعدها من الآيات، والتذييل يعطي المعنى لنهاية

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٦٨ - ٦٩)، الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٥٠).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٤٨٧)، الإتقان في علوم القرآن (٤/٤٥)، التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية (١٥ - ٣٠).

الآية[1].

بينما نجد العلاقة بين التذييل وعلم المناسبات أقوى علاقة، فبينهما عموم وخصوص، ويلتقيان في الربط للمعنى؛ لكن الفارق أن التذييل يربط المعنى بين الجملة والجملتين فقط، بينما المناسبة تربط المعنى بين الجمل، وبين الآية كلها، وبين جمع من الآيات، وبين السورة كاملة، وبين عدة سور؛ فالمناسبة أعم من التذييل الذي هو خاص بالربط بين الجملتين[2].

ومن خلال ما ذكرت يظهر لنا وجه العلاقة بين القرآن الكريم والتذييل، من خلال أن التذييل يؤكد المعنى أو يضيف إليه بشيء جديد.

وتظهر العلاقة كذلك من خلال أن التذييل فيه نَفَسٌ قوي لاستخراج الهدايات والحكم والمعاني التي تتضح عند دراسة التذييل في القرآن، وخير مثال لذلك هذا التفسير الذي أدرسه تفسير التحرير والتنوير، فلقد بيّن لنا ما للتذييل من علاقة وثيقة وعلاقةٍ بسياق الآيات للوصول للمعنى المحقق.

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٨٠)، البيان في عد آي القرآن (ص: ١٢٦)، التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية (١٥ - ٣٠).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٥/١)، الإتقان في علوم القرآن (٣٧٠/٣)، التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية (١٥ - ٣٠).

المطلب الثالث

طريقة ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في عرض التذييل

نجد الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره (التحرير والتنوير) قد أكثر من ذكره لهذا الفن من فنون علوم القرآن، فكما أنه اهتم بكثير من العلوم المتعلقة بتفسير القرآن؛ فكذلك كان يوليه اهتمامًا؛ فقد أحصيت له ذكر صيغ التذييل بكل اشتقاقاته، وعدد تكرارها، وهي: (تذييل: ٤٥٢) (التذييل: ٢٣٤) (ذيّل: ٤٦) (ذيلت: ١٤) (تذييلها: ٣) (مذيلة: ١) (ذيّلها: ١).

ومن خلال استقرائي في هذا البحث، وجدت أنه يورد التذييل بأساليب وطرق شتى؛ تُدلل على عمق فهمه ومعرفته بسياق الآيات، وتراكيبها وترابطها مع بعضها البعض، وقد يكرر الصيغة بمترادفات أخرى تدل على ذات المعنى، **وسأذكر بإذن الله تعالى بعضًا من طرقه وأساليبه مع التذييل من خلال سورة البقرة:**

أولاً: من طرق ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره للتذييل: أنه يورد التذييل بصيغة الاحتمال، فيقول: "ويحتمل أنه تذييل ذيلت به قصة آدم لمناسبة ذكر المهتدين وليس من المقول له"[(١)].

ثانيًا: ومن الأساليب التي سار عليها ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تعامله مع التذييل؛ أنه يؤصل مبدأً في هذا العلم، وهو أن التذييل لابد أن يكون أعم في المعنى من المذيل، حين قال: "لأن التذييل يجب أن يكون أعم من الكلام

(١) التحرير والتنوير (١/٤٤٥).

المذيل"[1].

ثالثًا: كذلك نجد أن ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في التعامل مع التذييل يذكر أن الجملة تأخذ معنى التذييل، وقد يقول أنها واقعة موقع التذييل، وقد يذكر أنها بمنزلة التذييل أو واردة مورد التذييل، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

حيث قال: "عطف غرض على غرض، عقب الأمر بالإنفاق في سبيل الله ...، ولذلك فالجملة فيها معنى التذييل وإنما عطفت ولم تفصل باعتبار أنها غرض آخر من أغراض الإرشاد"[2].

ومن ذلك قوله في تذييل قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] علق قائلاً: "على أن قوله تعالى بعد ذلك وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم الوارد مورد التذييل: دليل على أن ما قبله مصدر بمعنى الكراهية ليكون جزئيًّا من جزئيات أن تكرهوا شيئا"[3].

ومن ذلك قوله موقعها موقع التذييل، عند قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ

(١) المصدر السابق (٢/٢٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢١٣).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٢٠).

ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، حيث قال: "ويجوز أن يكون المراد من هذه الجملة هو قوله: كما هداكم فموقعها موقع التذييل"[(١)].

رابعًا: ومن طُرقهِ كذلك أنه ينفي وقوع التذييل لسبب متعلق بالمعنى للسياق السابق، كما في هذا المثال في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٤].

حين قال: "والتعبير بالكافرين دون اليهود زيادة في ذمهم، وليس هنا من التذييل؛ لأن الكلام السابق مع المؤمنين، فلا يصلح ما بعده من تعميم حكم الكافرين لتذييل ما قبله"[(٢)].

وفي بداية تفسير الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تبيّن للقارئ رأيه في أن التذييل نوع من أنواع الإطناب، وهذا ما تطرقت إليه في الجانب التعريفي لهذا العلم، وعقّب الطاهر بكلام جميل أصّل فيه القول بالتذييل، ومنبع هذا العلم، وأي نوع من أنواع التذييل هذا المثال الذي بيّن عنده.

كذلك أفضل نوع من أنواع التذييل، وسبب أفضليته، وبيّن العلاقة بين المناسبة والتذييل عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٨].

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٤١).

(٢) المصدر السابق (١/٦٥٢).

حيث أبدع في تعقيبه لمعنى الآية فقال: "فإذن ذكر جملة بعد جملة يؤذن بمناسبة بين الجملتين، فإذا لم يكن مدلول الجملتين واضح التناسب، علم المخاطب أن هناك مناسبة يرمز إليها البليغ، فهنا تعلم أن الارتداد عن الإيمان إلى الكفر معنى كلي عام يندرج تحته سؤالهم الرسول، كما سأل بنو إسرائيل موسى فتكون تلك القضية كفرا، وهو المقصود من التذييل المعرف في باب الإطناب بأنه تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة، وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى وزيادة؛ فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى، وأبدعه ما أخرج مخرج الأمثال لما فيه من عموم الحكم ووجيز اللفظ مثل هذه الآية"[(١)].

هذه المقطوعة من كلام الطاهر لوحدها ذكرها في موطنٍ واحد، وهي تدل دلالة واضحة على اهتمامه بهذا الفن وبراعته فيه، فهو علمٌ يجمع بين المعاني ودليله السياق.

خامسًا: ومن الركائز التي ذكرها ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن التذييل لا يأتي إلا بالإيجاز؛ للدلالة على المعنى كله، حين قال: "وبعد هذا التوجيه كله فهو يمنع منه أن مجيء قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣] مجيء التذييل للأحكام السابقة مانع من اعتبار أن

(١) التحرير والتنوير (١/٦٦٧).

يعطف عليه حكم معتد به، لأنه يطول به التذييل وشأن التذييل الإيجاز[1].
ومن طرقه في التذييل أنه يورد بيتًا من الشعر للتأكيد على نوع التذييل الذي أورده، وأنه بنفس المعنى المنقاس وله شواهد في تفسيره.

سادسًا: ومن أساليبه الشرح والتفصيل في معنى التذييل وعلاقته بما قبله، مثل قوله في تذييل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١١٥] "واسع تذييل لمدلول ولله المشرق والمغرب والمراد سعة ملكه أو سعة تيسيره والمقصود عظمة الله؛ أنه لا جهة له، وإنما الجهات التي يقصد منها رضى الله تفضل غيرها وهو عليم بمن يتوجه لقصد مرضاته، وقد فسرت هذه الآية بأنها المراد بها القبلة في الصلاة"[2].

ومن تعليقاته على التذييل: التأكيد على أنه لابد للتذييل أن يكون رابطة تربط بين المعنى الجديد الذي خرج من التذييل مع المعنى في المذيل السابق، حين قال: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢] تذييل قصد منه تعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة؛ لأن التذييل لابد أن يكون مرتبطًا بما قبله فالسامع يعلم من هذا التذييل معنى محذوفًا، تقديره: والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف؛ لأنها فوقية منحوها من فضل

(١) التحرير والتنوير (٢/٣٧٦).
(٢) المصدر السابق (١/٦٨٣).

الله وفضل الله لا نهاية له، ولأن من سخرية الذين كفروا بالذين آمنوا أنهم سخروا بفقراء المؤمنين لإقلالهم"[1].

سابعًا: وقد يورد الطاهر تذييلاً بعد تذييل لزيادة أخرى في المعنى أو زيادة ترغيب، كما في المثال التالي: "وقوله: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] تذييل أي العفو من حيث هو، ولذلك حذف المفعول، والخطاب لجميع الأمة، وجيء بجمع المذكر للتغليب، وليس خطابًا للمطلقين، وإلا لما شمل عفو النساء مع أنه كله مرغوب فيه، ومن الناس من استظهر بهذه الآية على أن المراد بالذي بيده عقدة النكاح المطلق؛ لأنه عبر عنه بعد بقوله: وأن تعفوا وهو ظاهر في المذكر، وقد غفل عن مواقع التذييل في آي القرآن كقوله: ﴿ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨].

ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد؛ لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على

(١) المصدر السابق (٢/٢٩٨).

الرأفة والسماحة لين ينزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه، لكثرة أسبابها فيه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] تذييل ثان، معطوف على التذييل الذي قبله، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه من التفضل الدنيوي، وفي الطباع السليمة حب الفضل"[(١)]. ونجد الطاهر يستخدم لفظ القوة للتأكيد، حين قال: " كانت هذه الآية في قوة التذييل"[(٢)].

وأختم هذا المبحث بمقولة بديعة لأحسن تعليق صاغه ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وفاق كل أقوال العرب والردع والتنكيل، أن هذا التذييل أفضل مما يسري مسرى المثل، وهو في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: ١٧٩] "وقوله في القصاص حياة من جوامع الكلم فاق ما كان سائرًا مسرى المثل عند العرب، وهو قولهم (القتل أنفى للقتل)، وقد بينه السكاكي في "مفتاح العلوم" وذيله من جاء بعده من علماء المعاني، ونزيد عليهم: أن لفظ القصاص قد دل على إبطال التكايل بالدماء وعلى إبطال قتل واحد من قبيلة القاتل إذا لم يظفروا بالقاتل وهذا لا تفيده كلمتهم الجامعة"[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (٢/٤٦٤).

(٢) المصدر السابق (٣/١٤).

(٣) المصدر السابق (٢/١٤٥).

المبحث الأول

أسباب التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

في سياق تفسير ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - نجد أنه يعقب التذييل بذكر السبب لهذا التذييل، وهذا السبب إما أن يكون متعلقًا بالمعنى وإما أن يكون متعلقًا بالإعراب.

وهذه الأسباب التي يذكرها قد يدخل فيها جانب الاجتهاد، من ناحية أني أراها سبب، وغيري يراها دلالة أو نوع أو غير ذلك.

وسأورد ما ييسر الله من أسباب:

من أسباب التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - **التحذير والتوبيخ**، فنجده حذر من عمل الفساد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فقال: "وهذا جار مجرى المثل، وقيل الحرث والنسل هنا إشارة إلى ما صنع الأخنس بن شريق، وأيا ما كان فالآية دالة على أن من ينتسب في مثل ذلك صريحًا أو كناية مستحق للعقاب في الآخرة ولذلك عقب بجملة التذييل وهي ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ تحذيرًا وتوبيخًا"[(١)].

وقد يأتي السبب **للترغيب في الأمر**، مثاله: الترغيب في العفو والحث عليه، كما قال الطاهر: "وقوله: ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] تذييل ثان، معطوف على التذييل الذي قبله، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٧٠).

من التفضل الدنيوي، وفي الطباع السليمة حب الفضل"[1].

ومن ذلك: أن يأتي السبب **للتذكير** بأن الله مطلع على كل شيء سبحانه، مثل:"

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٠] تذييل للكلام السابق المسوق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة والتحذير من المثبطات عنه ابتداء ... والمقصود من هذا التذييل التذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء من النفقات وصفاتها، وأدمج النذر مع الإنفاق فكان الكلام جديرًا بأن يكون تذييلاً"[2].

وقد يكون سبب التذييل **للتهديد والزيادة في التذكير والبلاغ الإعذار**، كما في قوله تعالى: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠] تذييل، وفيه ترشيح للتوجيه المقصود للتهديد زيادة في تذكيرهم وإبلاغا لهم وقطعًا لمعذرتهم في الدنيا والآخرة"[3].

وقد يأتي **للتعليل**، كما قال الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "وقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي فتاب عليه؛ لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم والتذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني"[4].

(١) المصدر السابق (٢/٤٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣/٦٥).

(٣) المصدر السابق (١/٣٢٣).

(٤) المصدر السابق (١/٤٣٩).

وقد يكون **للنذارة أو البشارة**، كما عُقب بالبشارة بعد النذارة: "وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢] تذييل لتعقيب النذارة بالبشارة على عادة القرآن، والمراد بالخلود هنا حقيقته"[(١)].

وذكر الطاهر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أسباب كثيرة منها على سبيل الإيجاز، ومن أراد التوسع والنظر لمثال كل سبب فليرجع إلى موضعه، ومنها: أنه قد يأتي سبب التذييل **للتعليل**[(٢)]، ويأتي السبب **للاعتراض والتفريع**[(٣)]، ويأتي السبب **للتخويف**[(٤)]، ويأتي السبب **للتقريب**[(٥)]، ويأتي **للبيان**[(٦)]، ويأتي **للفذلكة**[(٧)]، ويأتي **لنفي الحكم**[(٨)].

---

(١) المصدر السابق (١/٤٤٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٥٣).

(٣) المصدر السابق (١/٦١١، ٦٧١).

(٤) المصدر السابق (٢/٤٤٠).

(٥) المصدر السابق (١/٧٢٤).

(٦) المصدر السابق (٢/٣١٢).

(٧) المصدر السابق (٢/٩٩)، والفذلكة: لها معنيان، الأول بمعنى العدد والحساب كما قال صاحب تاج العروس، والثاني بمعنى المجمل من المفصل كما عند المعجم الوسيط، ينظر: تاج العروس (٢٧/ ٢٩٣)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٨).

(٨) المصدر السابق (٢/٣٨٤).

المبحث الثاني

أنواع التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

في الحقيقة أن أنواع التذييل حسب ما أطلعت عليه من سورة البقرة، لم يركز عليها تركيزًا كليًّا؛ وإنما الذي يورده بين أنواع التذييل ويستشهد به: ما يجري مجرى المثل السائر، وهذا النوع كثيرًا ما يذكره.

وأمرٌ مهم أحببت التنبيه إليه ألا وهو: أن هذه الأنواع وجدتُ من يقول بأنها أقسامٌ التذييل، ولا مشاحة في الاصطلاح[1].

وهذه الأنواع منها: ما هو متعلق بالمعنى للتذييل، ومنها: ما هو متعلق بلفظ التذييل، وسأذكر مثالاً على ما يجري مجرى المثل السائر:

"قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] وهذا جار مجرى المثل، وقيل الحرث والنسل هنا إشارة إلى ما صنع الأخنس بن شريق، وأيا ما كان فالآية دالة على أن من ينتسب في مثل ذلك صريحًا أو كناية مستحق للعقاب في الآخرة، ولذلك عقب بجملة التذييل وهي ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ تحذيرًا وتوبيخًا"[2].

---

(١) وهي الباحثة فاطمة الزهراء، وهي بلا شك متخصصة في هذا الباب، وهي قد درست الموضوع من ناحية لغوية في رسالة ماجستير، ورسالتها متوفرة في النت، بينما درست أنا هذا الموضوع من ناحية تفسيرية، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٢) التحرير والتنوير (٢/٢٧٠).

وقد وجدت مثالاً ينطبق عليه نوع: أن يأتي منطوق ويذيل بمنطوق آخر يؤكده، وهذا النوع وقع في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ولم يؤكد ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هذا النوع أو التذييل ككل، بل قال: "بمنزلة التذييل أي التقوى أفضل من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص"[1]، والظاهر أن ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ركز على المعنى، والذي أردت فقط تكرر المنطوق.

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٣٦).

المبحث الثالث

دلالات التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

هذا المبحث أرى أن ابن عاشور قد أوغل فيه، وأكثر منه، بل إنه نهاية المعنى، والمحصلةُ التي يتوصل إليها المفسر بعد معرفة التذييل والمذيل، ومعرفة الرابط في المعنى أو المنطوق والمفهوم؛ تأتي الدلالة تبين المعنى وترسي على نهاية المعنى، وتخرج منه العبر والحكم والعظات.

في الحقيقة أني أرى أن هذا الجزء من موضوع التذييل، هو الخلاصة والنتيجة التي من أجلها وُضع التذييل؛ وبالتالي يجدر العناية به؛ ففيه من جانب التدبر والتأمل الشيء الكثير.

والطاهر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في باب الدلالات توسع وأطال في شرحها وبيانها، وتفيد هذه الدلالات عنده العموم، وتفيد التخصيص، وتفيد النفي.

أما عن الصيغ التي يذكرها للدلالة على الدلالة للآية:

مشتقات صيغة (قصد)، كلها عند الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تبين الدلالة للآية، فتارةً يقول والمقصد، وتارة يقول والمقصود، وتارة يقول والقصد أو قصد منه وهكذا.

ومن أمثلة ذلك لصيغة قصد:

قوله: "﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ [البقرة: ١٦٧] حال أو اعتراض في آخر الكلام؛ لقصد التذييل لمضمون كذلك يريهم الله

أعمالهم حسرات عليهم، لأنهم إذا كانوا لا يخرجون من النار تعين أن تمنيهم الرجوع إلى الدنيا وحدوث الخيبة لهم من صنع رؤسائهم لا فائدة فيه، إلا إدخال ألم الحسرات عليهم وإلا فهم باقون في النار على كل حال"[(١)].

ومن أمثلة ذلك لصيغة المقصد:

قوله: "﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة بمفاد قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، والمقصد من هذا التذييل الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل أو نوافل فقط فليس المقصود من خيرًا خصوص السعي؛ لأن خيرًا نكرة في سياق الشرط، فهي عامة، ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء؛ لئلا يكون الخير قاصرًا على الطواف بين الصفا والمروة"[(٢)].

ومن أمثلة ذلك لصيغة قُصِدَ:

قوله: "﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٢] تذييل قصد منه تعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة؛ لأن التذييل لابد أن يكون مرتبطًا بما قبله، فالسامع يعلم من هذا التذييل معنى محذوفًا تقديره: والذين اتقوا فوقهم

(١) التحرير والتنوير (٢/١٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٦٤).

فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف؛ لأنها فوقية منحوها من فضل الله، وفضل الله لا نهاية له؛ ولأن من سخرية الذين كفروا بالذين آمنوا أنهم سخروا بفقراء المؤمنين لإقلالهم"[(١)].

وكذلك من الصيغ عنده:

أن يقول **والمعنى للآية، أو يقول ومناسبة هذا الكلام**، وهذا يدخل في باب المناسبات؛ لكنه متعلق بمعنى المذيل الذي هو من صلب موضوع التذييل.

وقد لا يصرح بصيغة معينة؛ وإنما يذكر الدلالة مباشرة ويبينها، وأمثلة ذلك كثيرة عنده.

ومن أمثلة ذلك:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٨]

قوله: "بهذا التذييل الجامع لمعان سامية، طيًا لبساط المجادلة مع اليهود في أمر القبلة، كما يقال في المخاطبات دع هذا أو عد عن هذا، والمعنى: أن لكل فريق اتجاها من الفهم والخشية عند طلب الوصول إلى الحق"[(٢)].

ومن أمثلة ذلك بذكر المناسبة:

(١) المصدر السابق (٢/٢٩٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٤٢).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قوله: "ومناسبة هذا التذييل للجملة أن المخبر عنهم قد بذلوا أنفسهم لله وجعلوا أنفسهم عبيده، فالله رءوف بهم كرأفة الإنسان بعبده فإن كان ما صدق (من) عامًا كما هو الظاهر في كل من بذل نفسه لله، فالمعنى: والله رءوف بهم فعدل عن الإضمار إلى الإظهار؛ ليكون هذا التذييل بمنزلة المثل مستقلاً بنفسه، وهو من لوازم التذييل، وليدل على أن سبب الرأفة بهم أنهم جعلوا أنفسهم عبادا له"[1].

(١) المصدر السابق (٢/٢٧٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة السلام على خير البشرية أجمعين، أما بعد:

فأشكر الله أولاً على إتمام هذا البحث، وأسأله العفو والمغفرة على التقصير والخطأ والزلل، فهذا جهد المقل، والمرء يلتمس التوفيق والسداد والرشاد من ربه؛ عله أن يخرج بكلمة ينفع الله بها، وتكون شافعةً له يوم الدين.

وبعد أن جُلت في غمار هذا الموضوع، وفتّشت في جنباته، فإني أوصي بالاهتمام بالتذييل عمومًا، وعند الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - خصوصًا، وأهم ما توصلت إليه ما يلي:

أولاً: إن هذا الموضوع الذي بحثت فيه (التذييل)، كنت أطمح لبحثه في القرآن كاملاً، وبعد أن بدأتُ فيه؛ وجدت أن الموضوع أكبر من ذلك بكثير، بل إنه يستحق أن يدرس كرسالة علمية، وذلك أني بعد أن رأيت عدد المواضع التي بيّن تذييلها ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- اقتصرت بهذا البحث على سورة البقرة والله الموفق.

ثانيًا: إن هذا الموضوع التذييل له علاقة وثيقة بجانب يهم الباحثين، ألا وهو التدبر والتأمل والاستنباط؛ فمن وجد في نفسه همةً لذلك؛ فإن التذييل يحقق رغبته؛ لأن التذييل مقاربٌ لعلم المناسبات.

ثالثًا: من خلال هذا البحث تبين لي اهتمام الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بالتذييل خاصة، وماله تعلق بالجوانب البلاغية واللغوية عامة.

رابعًا: إن الطاهر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يعدُ من المفسرين الذين رزقهم الله قوةً في الربط بين سياقات الآيات ومناسباتها، ويندرج لك على اهتمامه بالتذييل كذلك؛ فهو يربط بين التذييل بأكثر من رابط، بل إنه يذكر للآية لأكثر من تذييل.

خامسًا: إن الدلالات للتذييل هي التي تتعلق بجانب الاستنباط واستخراج الفوائد والحكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢- إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط: ٥، مصر، دار المعارف، ١٩٩٧م.

٣- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: ١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٤- البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط: ١، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧- التذييل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية سورة البقرة أنموذجًا، فاطمة الزهراء، رسالة ماجستير.

٨- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي.

٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الجزء الثاني، مصر، مطبعة المقتطف، دار الكتب الخديوية ١٣٢٢هـ/١٩١٤م.

١٠- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط: ٣، بيروت، دار الصادر، ١٤١٤هـ.

١١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

References

1- Al-Itqan fi Ulum Al- Qur'an, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, the Egyptian General Book Authority, 1394 AH / 1974 AD.

2- E'jaz Al- Qur'an Ll-Baqlani, Abu Bakr Al-Baqlani Muhammad Ibn Al-Tayyib, investigation: Sayed Ahmed Saqr, 5th edition, Egypt, Dar Al-Maaref, 1997 AD.

3- Al-Burhan fi Uloum Al-Qur'an, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahader Al-Zarkshi, investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. Edition: 1, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners, 1376 AH / 1957 AD.

4- Al-Bayan fi A'dd A'y Al-Qur'an, Othman bin Saeed bin Othman bin Omar Abu Amr al-Dani, edition: Ghanem Qaddouri al-Hamad, edition: 1, Kuwait, Center for Manuscripts and Heritage, 1414 AH / 1994 AD.

5- Taj Al Arous fi Jawaher Al-Qamous, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husayni, Abu al-Fayd, entitled by: Murtada, al-Zubaidi, edition: a group of editors, Dar al-Hidaya.

6- Al-Tahreer wal Tanweer " Tahreer Al-Ma'na Al-Sadeed wa Tanweer Al-Aql Al-Jadeed min Tafseer Al-Kitab Al-Majid", Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher bin Ashour Al-Tunisi, Tunis, Tunisian Publishing House, 1984 AD

7- Al-Tathyeel fi Al-Qura'n Al-Kareem, Derashsah Balagheyyah, Fatima Al-Zahra', master degree.

8- Al-Sehah, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Gawhari Al-Farabi,

9- Al-Teraz Al-Motadammen Li-Asrar Al-Balaghah wa Uloum Haqaeq Al-I'jaz, Yahya bin Hamza bin Ali bin Ibrahim Al-Alawi Al-Yamani, Part Two, Egypt, Al-Muqtataf Press, Khedive Book House 1322 AH / 1914 AD.

10- Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaife'i al-Afriqi, edition: 3, Beirut, Dar al-Sader, 1414 AH.

11- Mo'jam Maqayees Al-Lughah, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qizwini Al-Razi, Abu Al-Hussein, investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH / 1979 AD.

فهـرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

المقدمة.....١٩٣
التمهيد: علاقة التذييل بالقرآن الكريم، وطريقة المفسر فيه.....١٩٩
المطلب الأول: التذييل في اللغة والاصطلاح.....١٩٩
المطلب الثاني: علاقة علم التذييل بالقرآن الكريم.....٢٠٣
المطلب الثالث: طريقة الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في عرض التذييل.....٢٠٥
المبحث الأول: أسباب التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.....٢١٢
المبحث الثاني: أنواع التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.....٢١٥
المبحث الثالث: دلالات التذييل عند ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.....٢١٧
الخاتمة.....٢٢١
فهرس الموضوعات.....٢٢٧